اللقاء متخيلا شعريا شعراء المرأة الواحدة الشعر العذري أنموذجا

اسم الباحث : ا.م.د عبد محمود عبد بشر
جامعة تكريت / كلية الآداب
البريد الالكتروني:abdmhmood@tu.edu.iq

الملخص:
يكشف هذا البحث عن ابعاد النفس الانسانية لشعراء الغزل العذري في العصر الاموي ويلقي الضوء عل اللقاء المتخيل لديهم في لقاء المحبوبة لأنه يُعد مطلبا رئيسيا في قانون العاطفة البشرية واللقاء بين الأحبة أوقر مكانة من كل مطلب سواه لاسيما إن كان ثمة ما يمنع حدوث ذلك اللقاء والشعر العذري زاخر بالصورة العاطفية الملونة بأعمق آيات الفراق حزنا ولم يكن العذريون لينهكوا عزائم وجدهم باليأس والقنوط ولم يسلموا لرياح الهجر أشرعة شوقهم فلجأوا في أغلب الأحايين إلى تخيل لقائهم بمن أحبوا من النساء حين لم يكن لقاء الحقيقة متاحا لكل من الطرفين وقدموا لنا قطعا شعرية رائعة صورت لنا اللقاء كمتخيل" شعري" كما تنقلوا بذلك المجسم الشعري بين الزمان تارة والمكان تارة أخرى لينبؤوا عن ذلك باحتضان الأوعية البيئية لهم أكثر من بني جنسهم ولعل ذلك التيار الشعري برز لدى العذريين أكثر من غيرهم لشدة تعلقهم بمحبوباتهم واتخاذهم سبل التوحد في التجربة العاطفية التي يعيشونها ويتمسكون بها حد الجنون .

Assist. Prof.Dr. Abid Mahmoud Abid Bisher
University of Tikrit/ College of Arts
Email: abdmhmood@tu.edu.iq

The Meeting as a Poetic Imagination; Poets of the only woman: The Platonic as a Model

:Abstract
This paper reveals the dimensions of the human soul of the platonic philandering poets in the Umayyad era and sheds light on the meeting they imagined in the meeting of the beloved because it is considered a major requirement in the law of human emotion and the meeting between loved ones is more reverent than every other demand, especially if there is something that prevents that meeting and the virgin poetry Rich in the emotional and colorful image of the deepest verses of separation from grief, and the virgins were not exhausted and found them in despair and despair, and they did not surrender to the winds of abandonment the sails of their longing, so they resorted most of the time to imagining their meeting with the women they loved when a meeting of the truth was not available for each of the parties and presented wonderful pieces of poetry that portrayed us the meeting Like a "poetic" imagination, as they moved the poetic anthropomorphic between time and place at other times to predict that by embracing the environmental vessels for them more than the sons of their race. Perhaps that poetic current emerged among the virgins more than others due to the intensity of their attachment to their beloveds and their taking paths of unification in the emotional experience that they live and cling to some extent madness.

مقدمة :

تفرض العادات الاجتماعية بطبيعتها قيودا تَحولُ دون الشاعر العذري ومحبوبته، وتقف حاجزا منيعا بينه وبيـــن وصالها، مما يخلق لديـــه هاجسا نفسيا يجعلــه شديد النزوع إليها، فيحاول جاهدا تجاوز العقبات الموضوعة لاستنزافه عاطفيا، ولأن الشاعر العذري أحـــادي الولاء في وجدانه لم يكـن بمقدوره التراجع عن حبه، ولــم يـــتخذ الشعراء العذريون بدلا عمن أحبوا من النساء، فبين اليأس والرجاء يلجأ الشاعر إلى استحضار محبوبته في لقاء افتراضي يتخيله ليجعل من ذلك الخيال الذي يرسمه لنفسه ملاذا يفر إليــه من فزع الحقيقة ويتخذ منه لوحة فنية يصب بها مكنونه النفسي وقد جاء هذا البحث بعنوان (اللقاء متخيلا شعريا) للوقوف على ذلك الأسلوب الشعري الذي تميز به شعراء المرأة الواحدة تميزا كان ينمُّ عن نوبات عاطفية تصور حالة الوجدان المستفيض الذي طغى على بيئة الشعر العذري حتى أفــرد لشعرائـــها عالـــما يستمد آثاره من الحقيقة ليشيد بنيانه على أفق الخيال، ولطالما أبق الشعراء العذريون إلى ذلك العالم في ومضات فكرية تمتزج بالفيض العاطفي الذي يجرف تدفقه حدود المدارك العقلية لدى الشاعر الذي يجد راحة نفسية تجعله يقنن للقائه المتخيل ظروفا بيئية تتناسب مع رغبته النفسية وهو في الغالب يستمد عناصرها الزمانية والمكانية من الحقيقة لتشكل لذاته شيئا من القناعة العقلية التي قد تحول دون تحقق اللذة الشعورية إن هو أسرف في الخيال .

بما أن مفهوم اللقاء المتخيل يختلف عنه في وضعه الحقيقي مادة ومعنى على اتفاق لا تناقض فيه بأن اللقاء كلفظ مجرد لا يحتاج لإيضـــاح حول مفهومه في الشعر وغيره بقي لنا أن نوضح مفهوم المتخيل الذي يتموضع قلـــب الدراسة من هذا البحث.
المتخيل في اللغة : نجد في الأصل اللغوي لمادة (خ ي ل) أنها عند صاحب اللسان من ((خال الشيء ، يخال ، خيلا ، وخيلة ، أي يظن وفي الحديث ما أخالك سرقت أي ما أظنك ، وخيل عليه : شبه له ، والسحابة المتخيل والمخيلة : أي إذا رأيتها حسبتها ماطرة ، والمختال : المتكبر ، والخيالة ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صور))[i].
ومما جاء عن مادة (خ ي ل) عند الزمخشري ((... وأخطأت في فلان مخيلتي أي : ظني ، ورأيت في السماء مخيلة وهي السحابة ، تخالها ماطرة لرعدها وبرقها ، وأخل عليه الشيء : اشتبه وأشكل وأفعل ذلك على ما خيلت أي : على ما أرتك نفسك وشبهت وأوهمت))[ii].
وبذا يتضح لنا أن لفظة (الخيال) تشتمل على معان عديدة يتراوح جلها بين الظن والوهم والاشتباه وهي بذلك تصبح علما لفظيا دالا على كل معنى يتخذ من وضعه ضدا للحقيقة ، كالتخييل والمخيلة والمخيل والمتخيل...
المتخيل في المصطلح : لم يكن مفهوم الخيال والتخييل بعيدين عن الموروث العربي في النقد، فقد توسع اهتمام النقاد والفلاسفة والبلاغيين القدامى بذلك[iii]. و مصطلح الخيال ومرادفاته لم يدخل قيد الاستعمال لدى الدراسات العربية الحديثة إلا في الربع الأخير من القرن العشرين وفي هذه الحقبة اتجه الدارسون إلى وضع تعريفات جديدة لهذه المصطلحات التي لاحظوا من خلالها وجود تداخل بين التخييل والمتخيل الذي وجدوا فيه تجانسا بين الحقيقة والخيال فعلى الرغم من غلبة عناصر الخيال على هذا المصطلح إلا أنه خيال مقصود عند الأديب معلوم لدى المتلقي، لاستخدامه عناصر الحقيقة في تكوين بيئته الخاصة، فالمتخيل والتخييل يتداخلان بمعنى واحد عند جابر عصفور إذ أنه ((عملية إيهام موجهة تهدف إلى إثارة المتلقي إثارة مقصودة سلفا ، والعملية تبدأ بالصورة المخيلة التي تنطوي عليها القصدية والتي تنطوي في ذاتها على معطيات بينها وبين الإثارة الموجزة علاقة الإثارة الموحية وتحدث العملية فعلها عندما تستدعي خبرات المتلقي المختزنة والمتجانسة مع معطيات الصورة المخيلة ، فيتم الربط على مستوى اللاوعي من المتلقي بين الخبرات المختزنة والصور المخيلة ، فتحدث الإثارة المقصودة ، ويلج المتلقي إلى عالم الإيهام المرجو فيستجيب لغاية مقصودة سلفا ، وذلك أمر طبيعي مادام التخييل ينتج انفعالات تفضي إلى إذعان النفس فتنبسط لأمر من الأمور أو تتنقبض عنه))[iv]. إلا أن هناك من حاول أن يوجد تعريفا مستقلا للمتخيل على أنه ((القدرة المسؤولة عن استحضار الصور المرئية مفردة أو مجتمعة في الذهن))[v]. ولاستنباط مفهوم المتخيل من الصورة image فقد اتجه الدكتور يوسف الإدريسي لتناول هذا المصطلح بالتدرج الاشتقاقي إذ عرض لتعر يف التخيّل أولا بقوله: ((أما كلمة imaginer (تخيّل) فقد استعيرت من الكلمة اللاتينية imaginary سنة ١٢٩٠م ، واستخدمت سنة ١٣١٤م للدلالة على تكوين صورة شيء أو طيف إنسان في الذهن ، بينما استعملت حوالي ١٤٤٠و١٤٧٥م للدلالة على فعل شيء أو اختراعه ، ومنذ سنة ١٦٩٠م أصبحت تستعمل في الأدب والفنون الجميلة للحديث عن تخيل شخصية أو وضع أو مشهد))[vi] ثم انتقل بعدها لتعريف المتخيل بشكل عام قائلا : ((تعبير نفسي إرادي مقصود تعكس بواسطته الذات طرائق تفاعلها الغريزي مع المعطى الاجتماعي ، وتواجه به الظواهر السلبية التي تهدد مصيرها وتعبث بكينونتها))[vii]. وعلى هذا الأساس يقدم الإدريسي تعريفه للمتخيل الشعري بأنه ((نظام مغلق من العلاقات المتفاعلة والبنيات الحية والمميزة ، وتعبير جمالي باللغة وأساليب التصوير عن رؤية تخييلية حميمة وفريدة للعالم والأشياء ، وعن موقف أنطولوجي للكائن البشري من الحياة))[viii] . وبعد التقديم لجهود الباحثين التي بذلوها لإزالة الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح ويجعله متداخلا مع غيره من اشتقاقات الخيال الأدبي فإنه يمكن القول :إن المتخيل الشعري هو نزوع الذات الشاعرة إلى افتراضات وهمية لإيجاد حدث مهم يمتنع الوصول إليه في بيئة الواقع المادي فيجد الشاعر في فضاء الخيال حيزا مناسبا لتصوير ذلك الحدث.
وعلى وفق ذلك شرعت دراستنا في هذا البحث بتقسيمه إلى مبحثين المتخيل المكاني والمتخيل الزماني.

المبحث الأول : المتخيل المكاني

المتخيل المكاني للقاء : كان لابد للشاعر الذي يريد أن يعيش في قصيدته متخيلا ما أن يلجأ أولا إلى استحضار العناصر الضرورية لذلك المتخيل الذي لا يعدو كونه حدثا يحتاج إلى مكان يستوعبه أولا ثم زمان ينظم عمر الحدث وترتيبه بالنسبة لحركة ذلك المكان ثانيا، فالمكان سابق للزمان مع اشتراط وجودهما لأي حدث يراد قال الحق جل في عليائه ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ))[ix] فكان لزاما أن نقدم عنصر المكان المتخيل في حدث اللقاء على عنصر الزمان في ترتيب هذه الدراسة وكذلك للوقوف بشكل دقيق على كل عنصر منهما في الحدث المتخيل وإبراز ما له من خصوصية لدى الشاعر وتسليط الضوء على ثناياه المظلمة أمام الدراسين .
لابد للشاعر الذي يصبو للقاء محبوبته – حقيقة أو متخيلا- أن يفكر بمكان يستوعب لقاءه بها ويأويان إليه حينئذ ،ومن هنا اكتسب المكان قدسية مهيبة لدى الشعراء ((وذلك لأن هذه الأماكن تساعدهم في استرجاع الذكريات وإدخال السرور والفرح في نفوسهم))[x]
كما أن الحرمان الذي كان يقاسيه أولئك الشعراء طمس على أعينهم معالم الأمكنة فقد نرى بعضهم يبحث عن محبوبته بحثا عشوائيا يبني عليه احتمالية ذلك اللقاء ، من ذلك قول المجنون :

أحجاج بيت الله فـــي أي هـودج ... وفي أي خدر من خدوركم قلبي
أأبقى أسير الحب في أرض غربة ... وحاديكم يحدو بقلبي في الركب[xi]

إذ ينم تسآله في هذا البيت عن سؤال مجازي لا حقيقي فهو يتخيل محبوبته بكل الأمكنة آملا أن تكون تلك الساعة في رحلة الحج لعله يظفر و بالرغم من عشوائية بحثه يرسم للقائه المتخيل مكانا تستسيغه العقول حين سؤله عن خدرها وإنما الخدور أخبية النساء وذلك مكان المرأة الخاص لأن ((السيرورات الاحتمالية ليست عبثية تماما بل لها منطقها الخاص وقوانينها الكامنة والتي على شعرية المتخيل أن تكشف عنها))[xii] ، كما أنه يتخذ في تخيله لقاء محبوبته أسلوبا تأنس به النفوس وتلين له القلوب حين يضع تلك المحبوبة التي يتخيل لقاءها في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام.

ويشيع صاحب عزة لقاءه المتخيل بها في جميع الأمكنة دلالة في التشبيه الذي يحمل في طياته توكيدا معنويا لما يحس به إذ يقول :

تبدت له ليلى لتغلب صبره وهاجتك أم الصلت بعد ذهول
أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيـــــل[xiii]

فهو يتخيلها لديه دائمة الحضور تستبيح عليه كل الأمكنة وتستوقفه في جميع الطرقات لشدة تعلقه بها ومنعه من رؤيتها والوصول إليها بسبب الوشايات التي تؤجج قومها عليه، وغالبا ما يقع العذريون ضحية للوشاية مما يحتم عليهم إخفاء الهوى والتكتم على السر وهو ما لا نراه في الشعر الجاهلي بينما نراه بارزا في شعر العذريين[xiv] .

ولعل (مؤنسة) المجنون تمتزج بهاجس اللقاء المتخيل وكأن ذلك البناء الشعري فيها يتقولب حول أمنيته الكبرى وهي لقاء ليلى إذ يقول :

وقال بصير القوم ألمحت كوكبا بدا في سواد الليل فردا يمانيا
فقلت له بل نار ليلى توقدت بعليا تسامى ضوؤها فبدا ليا [xv]

فإن الشاعر ينسب كل ضوء في سماء اليمن أو أرضها إلى ليلى ليشيع وجودها في أكبر الأمكنة وهو بذلك يتخذ أسلوبا مجازيا يبرز من خلاله اشتياقه لمحبوبته وهيامه بها وأنه لا يقطع رحلة ولا يسمر مع صحبة إلا وهو آملا لقاءها وبذلك تصبح بلاد ليلى بالنسبة إليه مكانا منشودا وغاية مأمولة لا يمل طلبها ولا يضل عنها إذ يقول :

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بذكراك هاديا[xvi]

يبلغ وجدان الشاعر بليلى ولوعة اشتياقه لها حدا يلوي له أعناق النصوص ويخضع له أفئدة المعاني فهو يجعل من ذكرى حبيبته خطا ملاحيا تسير عليه المطايا في ظلمة من الرحلات دون أن تضل عن بلاد ليلى كما أن تلك الرحلة التي يقطع أشواطها نحو ليلى تزيد من وجله وهيامه بها وتجعله يستوقف ركبان اليمن لعل منهم من رأى ليلى أو عرف خبرها أو مر قريبا من دراها إذ يقول :

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديا[xvii]

وهو في كل هذه الأبيات إنما يفتر عن طلبه لقاء ليلى تارة ويعاود ذلك تارة أخرى غير أنه يضفي على تخيلاته شيئا من التنظيم الفكري للأحداث سواء على صعيد المكان وجزئياته أم حواره مع القوافل وركبانها وذلك أن ((عدم تنظيم سير المحتمل من شأنه أن يبعد المتخيل عن طاقته الشعرية وقواه الدلالية)) [xviii]، لذلك جاء اللقاء المرتقب تخيلا في رحلة الشاعر مشوقا طالما كان الشاعر ينمقه بوشي مطرز من الانفعالات النفسية والمواجيد العاطفية المتقدة .

وقد يسرح الشاعر العذري بخياله كثيرا حين تضيق الأمكنة عن اتساع لقائه بمحبوبته فيلجأ إلى تخيل الفرار من طبيعته الفسلجية التي يجدها لا تساعده في الوصول إلى من يحب مما يجعله يتمنى أن يعدل من تلك الطبيعة بالشكل الذي يمكنه من وصال محبوبته ورؤيتها وهو ما نجده لدى قيس ابن الملوح إذ يقول :

شكوت إلى سرب القطا إذ مررن بي فقلت ومثلي بالبكاء جديـــر
أسرب القطا هل من معير جناحـــه لعلي إلى من قد هويت أطير[xix]

إذ لا يمكن للشاعر أن يتحدث إلى القطا وإنما أراد ذلك مجازا كما أنه سخر الاستعارة للإفادة من تحقيق المعنى المتخيل وهو طلبه استعارة جناح من القطا ليطير به إلى لقاء محبوبته .

كما تناول الأسلوب نفسه قيس لبنى إذ يقول [xx]:

وددت من الشوق الذي بي أنني أعار جناحي طـــــائر فأطير
فما لي في نعيـــم بعد فقدك لذة ولا في سرور لست فيه سرور

فالمتخيل المكاني للقاء نتيجة نفسية سببها فرط الاشتياق الذي طغى على لب قيس لذلك نجده آبقا نحو فضاء مكاني لا يتوقع وصوله إليه غير أنه خياله الشعري يمتد إليه تعبيرا عن تخيل اللقاء بصاحبته عبر أية وسيلة تكون وإن بدت في الواقع ضرب من المستحيل كما أن ثمة دلالة عميقة ألجأت العذريين إلى ذكر الطائر في لقاءاتهم المتخيلة ألا وهي الرمزية العذرية العفيفة والتي عبروا من خلالها عن حرصهم على سمو غاياتهم عن الجسد الأنثوي وتأكيدهم على الجانب الروحاني للمرأة وقدسية العشق [xxi].

. وعلى غرار هذا المتخيل نجد صاحب عزة يتمنى أن يستبدل جسده بكائن آخر يكون من الممكن لقاؤه بعزة إذ يقول :

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت فحي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها مازلت ذا مقة عندي ولا مسك الإدلاج والعمل
فحن من وله إذ قلت ذاك لـــه وظل معتذرا قد شفه الخـــجل
ورد من جزع ما كنت أعرفها ورام تكليمها لو تنطق الإبـــل
ليت التحية كانت لي فأشكرها مكان يا جمل حييت يا رجـــل[xxii]

إذ ((ليس غريبا أن يصطنع الشعر لغة الحكي لضمان خلق الرؤية الموحدة مع الاحتفاظ بحقه في التنويعات الجزئية التي تتكون أساسا من التشكيلات الاستعارية المفاجئة بجدتها))[xxiii]. فالشاعر ينتقل بالمكان (الجمل) من غير العاقل إلى العاقل حين يحاوره مجازا في خياله الشعري لتقليص الفجوة بينه وبين المكين (الشاعر) ثم يلوم ذلك الجمل ويختلق مع نوعا من الحوار يقوم على التبرير المنطقي في موضوع الحوار لتوطيد العلاقة الطبيعية بينهما تهيئة لحدث أكبر وهو الحلول محل ذلك الجمل غبطة من الشاعر على رؤية الجمل لعزة ولقائه بها فيتمنى أن يكون ذلك اللقاء الذي حدث بين محبوبته والجمل قد حدث بينه وبينها وتلقي عليه التحية بدلا من الجمل الذي لا يعقل رؤيتها ولا يفقه تحيتها وإنما ذلك كله متخيل مكاني للقاء لا أصل لحدوثه في حقيقة هذه القصة الشعرية التي قدم لها الشاعر. كما أن كثيرا قد أكثر من أسلوب التمني في هذا الأمر تعلقا منه بأشرعة الخيال حين ضاقت عليه أسباب الحقيقة إذ يقول :

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يـــقل على حسنها جرباء تعدو وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضـــرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحـن نطـــلب
يطردنا الرعيان عن كل تلعة ويمنع منا أن نرى فيه نشـــرب
وددت وبيت الله أنك بـــكرة هجان وأني مصعب ثـــم نهرب[xxiv]

فلا يتسع له الواقع لتخيل لقائه بعزة إلا بتمنيه أن يكونا بعيرين مملوكين لرجل من الأغنياء ليسهل عليه فقدانهما إن هما أرادا فرارا ثم إنه يتمنى أن يصيبهما الجرب كي ينعما بصفاء العيش بل إنه يسلسل جزئيات لقائه المتخيل في صور استعارية مكثفة وما كان توكيده على تمنيه الجرب وأن يملك شأنهما غني إلا سخطة منه على البيئة الاجتماعية التي تمنع العاشقين من اللقاء حتى أنه يلوذ بأمانيه إلى الصحراء الخالية لأنه يرى في المجتمع وبيئته عائقا يقف أمام لقائه بمحبوبته دون رحمة ، ((ويبلغ ضيق الشعراء بوطأة المجتمع وتطلعهم إلى الفرار من رقابته ، أن يتمنوا أماني هي – على قسوة بعضها وشذوذه – هروب بالوهم من واقع أقسى لا يمكن احتماله)) [xxv] .

ويبلغ الحذر من المجتمع مبلغا كبيرا لدى صاحب بثينة إذ تلجؤه الرقابة القبلية والخوف من الوشاة إلى التمويه وإخفاء ملامح الشوق حين تخيله لقاءها فتضيق عليه الأرض بما رحبت مما يحلق بمخيلته نحو عنان السماء لحصول ذلك اللقاء إذ يقول :

سأمنح طرفي حين ألقاك غيركم لكيما يروا أن الهوى حيث أنظر
أقلب طرفي في السماء لعله يوافق طرفي طرفكم حين ينظر
وأكني بأسماء سواك وأتقي زيارتكم والحب لا يتغير
فكم قد رأينا واجدا بحبيبة إذا خاف يبدي بغضه حين يظهر[xxvi]

في هذه القطعة الشعرية يرسم جميل في مخيلته لقاءً قد يكون مع بثينة ثم يغوص في سرد أحداث اللقاء المتخيل قبل حدوثه وهو يركز بؤرة الأحداث حول عدم استطاعته المجاهرة بلقائها مما يضطره إلى تخيل ذلك اللقاء في بيئة تخلو من عيون الحساد وأهلها فلا يجد إلا السماء فضاءً خاليا من الكدر ومساوئ النزوات حتى أنه يقر بنكرانها وعدم المبالاة بشأنها إن هو لقيها بين أهلها ويدفعه إلى التظاهر بذلك خوفه عليها وعلى نفسه مما يترتب على ذلك من عقوبات ((فنحن إذن أمام مجتمع شديد المحافظة تحتجب فيه المرأة عن الرجل وتلقي على وجهها برقعا إذا لقيت رجلا من غير أهلها ... ويضطر فيه المحبون إلى أن يظهروا غير ما يبطنون ويبدوا البغضاء لمن يحبون حتى يجتنبوا أنفسهم عداء الأهل والناس))[xxvii].

كما وقف العذريون مواقف تصدع لها القلوب وتضرب عليها الجيوب وذلك حين تلقف الموت أرواح محبوباتهم حينها لم يقدروا على تحمل المصاب فوجهوا نحو القبور أخيلة الخطاب ، قال كثير :[xxviii]

أقول ونضوي واقف عند رمسها عليك سلام الله والعين تسفح
فهذا فراق الحق لا أن تزيرني بلادك فتلاء الذراعين صيدح
وقد كنت أبكي من فراقك حية وأنت لعمري اليوم أنأى وأنزح

فإنه يخاطب صاحبته متخيلا أنها تسمعه وتفقه ما يقول حين وقوفه أمام قبرها وذلك نازع إيماني يستقبل فيه المصاب الجلل بعقلانية العقيدة الراسخة بقضاء الله وقدره وحتمية الموت في مصائر الناس ((فلم يكن هذا الحب ليوجد لو لم يغز قلوبا عامرة بالعقيدة مؤمنة بالروح وبالدار الآخرة ، تعتنق فضيلة الزهد ، وتؤمن بجهاد النفس ، وتنتظر الثواب على العفاف في الحب))[xxix]

غير أنه يبرر حزنه وبكائه برحيلها الموجع وفقدها المفجع في نفس محبها الذي عاش محروما من قربها فلم يستطع لقاءها إلا بعد أن سكنت القبور وفاضت روحها إلى ربها جل وعلا.

وحينما خيم اليأس على أفق الخيال لدى الشاعر العذري واستسلمت آماله أمام زوبعة الواقع ، لم يعد بإمكانه أن يتخيل ثمة لقاء بينه وبين محبوبته قد يكون لأن الأمكنة لا يمكن أن تخلو من العقبات أمام المحبين والمجتمع يصر على الوقوف بوجه مراداتهم

مما ألجأ هؤلاء الشعراء إلى التحليق بآمالهم نحو القبور التي وجدوا أنها قد تصلح للقاء وينعم أهلها بالسلام ويكونوا بمنجى من كوابيس الحياة وأربابها من ذلك قول جميل[xxx] :

أعوذ بك اللهم أن تشحط النوى ببثنة في أدنى حياتي ولا حشري
وجاور إذا ما مت بيني وبينها ويا حبذا موتي إذا جاورت قبري

فإنه يتضرع إلى الله أن يقرب بينه وبين بثينة ويجعل لهما جوارا في الموت لئلا يحرم من لقائها والنعيم بقربها بل إن جميلا يحبذ موته ويتمنى وقوعه لجواره بثينة وهو بذلك يترجم عن معانٍ كثيرة لعل أكثرها وقعا في النفوس أن الأنس لا يكون في المكان إنما بوجود المكين.

المبحث الثاني : المتخيل الزمني للقاء

إن الزمن عنصر أساس في تكوين الحدث، كما المكان تماما، ولم يغفله الشعراء العذريون وغيرهم في لقاءاتهم المتخيلة بل أفردوا له من الصور الفريدة ما يشيدون به منازل متعددة دارت حولها أخيلتهم الرتيبة فهو العنصر المنظم للأحداث عمرا وتوقيتا وفق حركتها داخل المكان وهم يستمدون جزئياته من الحقيقة لينسجوا على منوالها مواقيت يجعلونها عدة متخيلاتهم الفكرية ومضمارها السيار فيما يستحضرونه من لقاءات في أذهانهم وللزمن أهمية بالغة في النتاج الشعري لدى العرب بعصورهم الأدبية كافة.

إذ إن الزمن يمثل لديهم جدولة النظام الحركي للوجود من حولهم و ((يرتبط الشعر بالزمن ارتباطا عميقا ، يصل لحد التماهي الكامل بين مكنونات الشاعر والعالم الخارجي ، فهو يظهر الاستخدام المكثف لصور الزمن في النص الواحد ، حيث يتلاحم الماضي مع الحاضر والمستقبل في بنية واحدة متماسكة ، تعبر عن اجتياز الشعر لبنى الزمان المتقطعة ، محاولة لدمجها معا واستحضار زمن مختلف مبني على ظاهرة فريدة للشعر الموسوم بالرؤيا ، والخارج عن المنظر الزمني المحدود ، الكاشف عن مناطق مجهولة ، وغائرة في البعد التي كلما حاولنا أن نسبر ملامحها تنبثق دلالات وعلامات أخرى أكثر ملامسة لحاضر الشاعر ومناخاته المتعددة))[xxxi] والمناخ العذري في العصر الأموي أشد إيغالا من سواه في في تخيل العنصر الزمني وربطه بدلالات موجهة هادفة لمقاصد يتخيلها الشعراء فيما يفترضونه من عوالم.

إن الزمن الفعلي في البيئة العذرية لم يكن هو الآخر بمعزل عن العوائق التي حالت بين شعرائها وبين محبوباتهم لذلك عزموا على استبداله بالمتخيل بدل الحقيقة التي تنافت مع مراداتهم غير أنه كان أجود من المكان على أولئك الشعراء حتى أنهم وقفوا طويلا للتمني أمامه لعله يأذن في حين من الأحيان بنوالهم ما أرادوا ، قال ابن الملوح :

ألم تعلمي أني أهيم بذكرها على حين لا يبقى على الوصل هائم
أظل أمني النفس إياك خاليا كمـــــا يتمنى بارد المـــاء صـائم[xxxii]

فإن الشاعر متعلق بمحبوبته حد الهيام، وبالرغم من حرمانه منها إلا أنه يصر على أن يمني نفسه بوصلها ويعللها بترقب لقاء ليلاه كما أن الصائم يعلل نفسه بشرب الماء البارد حين إفطاره إذ إن نفس الصائم لا تتمنى شيئا كما تتمنى أن تروي عطشها على ماء يكون باردا فالشاعر يستعير لفظة الصيام وهو حدث مقترن بزمن ليدلل بها على الفراق والحرمان من رؤية محبوبته التي شبه لقاءها ببارد الماء عند إفطار الصائم ولعل إيذان الزمن بانتهاء الصيام يوما وشهرا يمتد لانتهاء الفراق بين الأحبة .

ويتسارع الزمن طاويا مسافات الأمكنة لدى العذريين في تخيلهم رحلة اللقاء إلى من أحبوا فيقول كثير :

وكنت إذا ما جئت ميا أزورها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو يعيدها[xxxiii]

فطي الأرض أمامه ودنو البعيد منها نحوه ما هو إلا تسارع رتيب للعجلة الزمنية التي هي حسب متخيل العذريين تبسط إرادتها على صهوة المكان وتقف عاملا مساعدا لمد آفاق الخيال أمام أولئك الشعراء ويقدم الشاعر في البيت الثاني صورة أكثر تسارعا للعامل الزمني حين تنتهي الرحلة باللقاء، إذ تزداد السرعة الزمنية لحدود تفوق المدارك الذهنية لاستقبال الحديث بين الأحبة لذا فإنهم يودون لو أعادوا الحديث بعد انقضائه وبهذه الدقة ((نتيجة للاشتباك بين المشهد المادي والمشهد المتخيل تتكون الصورة الشعرية انعكاسا لما يحدث في الفضاء الوجودي والفضاء الحلمي ، ومدى حضور الشاعر في المحيط ، وقوة الحدس لديه ، حيث يتم التراوح بين الصورتين في النص الواحد ؛ الصورة البصرية والصورة الرؤيوية))[xxxiv] .

ويبرز طيف المحبوبة وخيالها بروزا جليا ضمن المتخيل الزمني في شعر العذريين ذلك أنه المتنفس الوحيد لديهم ولطالما عولوا عليه في إشباع لواعجهم النفسية ومواجيدهم العاطفية وقد تحدث صاحب كتاب الزهرة عن هذا الأمر في باب ((من فاته الوصال نعشه الخيال)) أن ((أصحاب هذا الباب الذي نحن في أوله يلحقهم ذلك العيب كله ويزدادون معه لوما على مسامحتهم أنفسهم في التلذذ برقادهم وأخلاؤهم ظاعنون عن بلادهم ومن الصوفية من لا يقنع لهم بما ألحقناهم من العيب بهم حتى يقولوا :

إن النوم لو كان مانعا لهم لكان تحضيضهم إياه بأنه يريهم أحبتهم نقصا بينا في مودتهم ، فإن الحال إذا تمكن لم تفترق الروحان ، وإن افترق الشخصان ، فالمحب المشاهد لصاحبه على كل حال ، مستغن عن الاستعانة على إحضار برؤية الخيال))[xxxv]
لذلك ((تعد اللوحة الطيفية مظهرا من المظاهر الفنية التي اتبعها الشعراء في هذا العصر ، فوجد الشاعر فيها ما يسلي روحه المتعبة ونفسه اليائسة ، فالجنون الذي ينتاب غالب الشعراء العذريين ، وهيامهم في الفلوات والهضاب بحثا عن الحبيبة ليس في حقيقته سوى تعبير عن حالة اليأس الناجم عن عدم الاستقرار ، وما بكاء الشاعر على مشاهد ارتحال الحبيبة ، أو على أطلال مضاربها ، غير تجسيد لتلك الظروف))[xxxvi] كما أن طيف الخيال لدى الشعراء يتموضع بكل قوالبه في جدول زمني غالبا ما يكون جنحا من الليل إذ يراود الشعراء في منامهم.
وقد تمثل طيف المحبوبة وخيالها في شعر العذريين تمثلا ينبئ عن غصات حزن تهيج اشتياقهم بقدر ما تستميل أهواءهم إذ يقول صاحب عزة :

طاف الخيال لآل عزة موهنا بعد الهدو فهاج لي أحزاني
فألم من أهل البويب خيالها بمعرس من أهل ذي ذروان[xxxvii]

فالشاعر يتوجع من مزار خيال عزة له لأنه يستوقفه في كل الأمكنة فهو صورة متخيلة لمحبوبته مفتقرة لكل المحسات المادية التي تتوق نفسه إليها، غير أن الشاعر العذري ((حين لا يرى للقاء الحبيبة سبيلا يتحدى الحرمان ويقنع باشتراكه مع محبوبته في بعض الأمور))[xxxviii] ، ولا سيما اقتناعه برؤية الصورة التي تتمثل له بالطيف في الحلم واليقظة وقد علق ابن حزم على هذه الظاهرة بقوله : ((إذا حرم المحب الوصل فلا بد له من القنوع بما يجد ، ومن بالقنوع الرضا بمزار الطيف ، وتسليم الخيال . وللشعراء في علة مزار الطيف أقاويل ؛ فأبو إسحاق بن سيار النظام رأس المعتزلة جعل علة مزار الطيف خوف الأرواح من الرقيب المرقب على بهاء الأبدان ، وأبو تمام الطائي جعل علته أن نكاح الطيف لا يفسد الحب ونكاح الحقيقة يفسده))[xxxix].
ولعل الزمن الذي يعيشه الشعراء العذريون مع الطيف وهو زمن غير محسوس لديهم وهم في حل عن التكليف الديني فيه الأمر الذي صيره مثار اهتمام لهؤلاء الشعراء كما أنهم قد يتطلبونه حتى في أوقات يقظتهم لقضاء حاجات ملحة ربما تكون أوطارهم من بينها كما لمح لذلك أبو تمام
من ذلك قول مجنون ليلى :

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا[xl]

فالشاعر يغمض عينيه عمدا دون أن يدركه النعاس كل ذلك ليرجو من استغشائه امتداد مخيلته إلى حيث يكون خيال ليلى تاركا لمخيلته فضاءً زمنيا غير محدود فلذة النوم ليست حاجة فسلجية لدى الشاعر بقدر ما هي استدعاء لخيال ليلى لذلك ترك الحدود الزمنية رهينة ذلك اللقاء .
على النحو السابق نجد قيس بن ذريح يعبر عن المعنى ذاته بأسلوب أكثر إيضاحا وأوفر قصدا ودقة فيقول :

وإني لأهوى النوم في غير حينه لعل لقاءً في المنام يكون
تحدثني الأحلام أني أراكم فيا ليت أحلام المنام يقين[xli]

فالشاعر يتجه بلقائه المتخيل بقصدية نحو العنصر الزمني الوفير بفرص اللقاء والمأمول منه ذلك أكثر من سواه ألا وهو النوم حيث اليقظة الكاملة للعقل الباطن والنزوع إلى موطن العاطفة وسكينة النفس لذلك فإن ((ابن ذريح يسعى إلى النوم عله يلقى طيف محبوبته التي حرم لقاءها حقيقة ، فينجح في ذلك ، إلا أنه يتمنى لو أن ما رآه كان حقيقة لا حلما))[xlii] . واستقبل بعضهم طيف محبوبته بالمفاضلة الزمنية حلما ويقظة في مراتب الإعجاب فيقول صاحب بثينة :

أمنك سرى يا بثن طيف تأوبا هدوا فهاج القلب شوقا وأنصبا
عجبت له أن زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظا كان أعجبا [xliii]

فالطيف الذي سرى نحو أحلام جميل أثار لواعج الشوق في قلبه وأتعبه لفرط حرمانه من محبوبته كما كان ذلك الطيف مثار إعجاب ودهشة لديه في منامه وهو يبالغ بذلك الإعجاب إلى الأعجب لو أنه زاره في صحوته ((ويتعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار ، ووعورة الطريق ، واشتباه السبل ، واهتدائه إلى المضاجع من غير هادٍ يرشده ، وعاضد يعضده ، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف ، في أقرب مدة ، وأسرع زمان ؛ لأنهم فرضوا أن زيارة الطيف حقيقة ، وأنها في النوم كاليقظة ، فلا بد مع ذلك من العجب مما تعجبوا منه من طي البعيد من غير ركاب))[xliv] ونلحظ تباين الأحداث المتخيلة لدى الشاعر من خلال الأزمنة المتفاوتة بين النوم واليقظة وارتباط الدلالة اللفظية للأفعال بالعنصر الزمني مثل لفظة (سرى ، هدواً) ، ويرسم جميل بثينة لوحة شعرية يجسد خلالها الفضاء الزمني الذي يتخيله ويكون مناسبا لحدوث فرصة لقائه بصاحبته لذلك تخيل المستقبل بكله وجزئه بنواله وفقده إذ يقول : [xlv]

لقد ذرفت عيني وطال سفوحها وأصبح من نفسي سقيما صحيحها
ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت يجاور في الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سوي عليها صفيحها
أظل نهاري مستهاما ويلتقي مع الليل روحي في المنام وروحها

إذ يتمنى الشاعر أن يعيش عمره مع محبوبته وهذا التمني بذلك اللقاء الذي لا يعقبه افتراق إن هو إلا ضرب من التخيل يستهويه الشاعر من الزمن الذي يربطه بالحياة ، ثم يمتد المتخيل الشعري للقاء من زمن الحياة إلى ما بعد الحياة ليفصح عن تخيله موت محبوبته التي يتمنى أن يجاور قبره قبرها ثم يصور حاله بعد موت بثينة إذ يقسم الزمن إلى نهار يقاسي خلاله الفقد وليل يسدل عليه ستار النوم ليأذن لروحه أن تلتقي بروح محبوبته إذن ((فالنوم أمر يجد فيه العذري راحة كبرى ، لأنه يساعد على لقاء

الطيف ، وامتناع النوم قد يحرمه تلك الفرصة))[xlvi]. لذلك نتلمس الآثار الإيجابية للزمن (الليل) التي انعكست على نفسية الشاعر وأتاحت له تخيل لقاء صاحبته وقد نوه إلى هذا الأمر (إبراهيم موسى سنجلاوي) إبان حديثه عن الآثار النفسية التي يتركها الزمن في إحساس الشاعر ؛ سرعة الحركة الزمنية حين اللقاء بالمحبوبة لشعوره بتوالي الأحداث وحركة الحياة الفاعلة في نفسيته ، وتباطؤ الزمن عند الفراق والبعد عنها إذ يرى سنجلاوي أن ذلك الأمر مرده إلى أن تجربة العشق تتخلص من التعقيد والتوتر عند اللقاء بين العاشقَين ؛ فإنها تميل إلى السكينة والهدوء لما يجده العاشقان من لذة ومتعة ، بينما يتثاقل الزمن عند حلول الفراق وتركد حركة الحياة فتنعكس الوطأة الشديدة لتلك الحالة على الشاعر وإحساسه[xlvii].

ولم يجد صاحب بثينة زمانا يتخيل فيه اللقاء مع محبوبته إلا حين نومه ويلقي بذلك اللوم على محبوبته ؛ إذ يقول :[xlviii]

وكم لي عليها من ديون كثيرة طويل تقاضيها بطيء قضاؤها
تجود به في النوم غير مصرد ويخزن أيقاضا عليها عطاؤها

فإنه يشكو من فرط نكثها له بوعود اللقاء التي تطول شكايته منها وتبطؤ بثينة بوفائها له ، إذ إن خيالها يمر عليه في نومه مرورا سخيا ليذكي بروحه وعقله مواقد الأشواق ولواعج الحرمان حتى إذا انقضت أحلامه وهرول للقائها مستيقضا أوصدت أمامه أبواب وصلها واستغلقت عليه مدارك نيلها.

وقد أكثر جميل بن معمر من شكايته طيف بثينة الذي صور من خلال ملاحقته إياه مدى وجده بها وتمكن حبها منه مما جعله رهين متخيل زمني للقاء لا يقدر على الفرار منه ؛ إذ يقول :[xlix]

فما سرت من ميل ولا سرت ليلة من الدهر إلا اعتادني منك طائف
ولا مر يوم مذ ترامت بك النوى ولا ليلة إلا هـــــوى منك رادف

فالشاعر لا يصور متخيلا زمنيا محددا للقاء بقدر ما يشيع زمن اللقاء المتخيل دلالة على شدة تعلقه بصاحبته إذ يصور طيفها كيف وهواها كيف يكونان في مصاحبة حركية لروحه وعقله.

ولقيس بن ذريح نصيبه الآخر من طيف لبنى الذي منع عنه رقاده وأوقد عليه جمر فؤاده حتى أنه **قال [l]:**

قد زارني طيفكم ليلا فأرقني فبت للشوق أذري الدمع تهتانا
إن تصرمي الحبل أو تمسي مفارقة فالدهر يحدث للإنسان ألوانا

فإنما يشكو حزنه لصاحبته التي بخلت عليه بوصلها بعد أن كان منه ما كان وللشاعر قيس بن ذريح خصوصية تميزه عن بقية العذريين ذلك أن لبنى هي حبه الأول الذي تكلل بالزواج ثم نعم كلاهما بما يكون لمثليهما إلا أن ذلك الزواج لم يكتب له دوام حال حتى طلق قيس زوجته فما صبر على فراقها واشتدت به كربة النفس حين زوجها أبوها من غيره فهام على وجهه في الفلوات يناشد الركبان ويقصد الأيفاع عل لبنى تحن إليه وتغفر له ما كان منه بحقها قد بدر كما أجمعت المصادر الأدبية على أن قيس بن ذريح أخ من الرضاعة للحسين بن علي (رضي الله عنهما) ولعل تلك الصلة بينه وبين آل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي ما جعلت لشعره وقصته المكانة التي حظي بها بين أقرانه[li].

لذلك الإحساس المتشبع بالندم والممتلئ بالحسرة الذي صاحب قيساً نجده يكتفي بإرسال دمعه حين تخيله لقاء طيفها الذي دفعه إلى جفوة النوم ومعاقرة الأحزان وتجرع الهموم وقد أرست شراعات خياله لشعري الذي قصد به لقاء لبنى على جنح من الليل يراوده خلاله طيفها الأواب. ولعل الدارس المتعمق في شعر العذريين أو الشعر الأموي بشكل عام بإمكانه العثور على مآسٍ وجدانية تضمنتها لوحات طيفية متكاملة غالبا ما تجيء في مقدمات قصائدهم كاستهلالات تصور أطياف محبوباتهم وما تفعله من مداعبة لأشواقهم وتأجيج لها ولذكرياتهم الهامدة[lii].

ويعلن تمرداً صارما ضد حرمانه من لبنى وافتراقه عنها مطلقاً لعنان خياله صهوةً من الأمل يقفز عليها لتجاوز العقبات الزمنية التي حالت دون إتاحته فرصة للقائه المنشود حين يصر على ذلك اللقاء الزمني المتصل رغم تخيله من خلال لاميته الراقصة طرباً على أوتار حسه المنساب وخياله المغرور إذ يقول [liii]:

فإن تك لبنى قد أتى دون قربها حجاب منيع ما إليه سبيـــــــل
فإن نسيـــــم الجو يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحي تلتقي ونعلم أنـــــا بالنهار نقيـــــــل
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا سماء نرى فيـــــها النجوم تجول

فإن الشاعر يقدم أولا شكايته التي مفادها أن المعوقات الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية وظروفه الخاصة كلها تقف حاجزا منيعا بينه وبين عودته للبنى فألجأته هذه الحال إلى اتباع هدي أقرانه في ذلك العصر و ((الذين عمدوا إلى محيطهم يبحثون فيه عن عوامل مشتركة يعيشونها مع محبوباتهم ، كما عمدوا إلى ذواتهم يبحثون فيها عما يمكن أن يشكل لهم وسيلة تعويضية عن حرمانهم لقاء الحقيقة ، فلم يجدوا بديلا عن العودة إلى مخيلتهم يلتمسون فيها تحقيق رغبتهم في اللقاء ، فلجأوا إلى الخيال (القدرة) يستخدمونه ، وإلى الخيال (الصورة) يستحضرونه ، وهم يسعون من وراء ذلك كله إلى خلق واقع افتراضي يلتمسون الحقيقة فيه))[liv].

لذلك قفز به خياله من بؤرة اليأس والقنوط إلى لقاء افتراضي أوجد له مكانه المتخيل أولا ثم شرع بتفصيل زمانه المتخيل ثانيا ففي البيت الثالث قابل بين ثنائية متلازمة للزمن (الليل - النهار) مع اقترانهما باللقاء.
إذ إنه يجد في فضاء الليل حيزا زمنيا يجمعه بلبنى كظاهرة فلكية مفروضة على سكان المكان الواحد فضلا عن الطيف ومزاره والاحلام وخيالاتها كما أن النهار وحدة زمنية تمتد لساعات طويلة يعيش كلاهما جزئيات هذه الوحدة ويتذكر كلاهما الآخر في كل جزئية منه لذلك فهو يعده فضاء زمني آخر يجمعه بصاحبته.
إن الزمن المشاع الذي يتخيله الشاعر ميقات لقياه بمن أحب يطلق عليه (الزمن النفسي) وهو الزمن ((الذي يمثل حركة الوجود الإنساني في تغييره وصيرورته ، في انتصاره ، وانكساره من خلال تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان ومع الطبيعة والوجود وحركة الأشياء بمعنى آخر بتوحده واندماجه الذاتي بالعام الموضوعي او الخارجي))[lv].
ويبدو أن إشاعة المتخيل الزمني للقاء لدى قيس بن ذريح تصدر عن قناعة نفسية تترجم عن فرط تعلقه بصاحبته ودوام فكره لتذكارها إذ إنه يؤكد معنى المقطوعة السابقة بأسلوب جديد وأبيات جدد حين يقول [lvi]:

أليس الليل يجمعني وليلـى ألا يكفي بذلك مـــن تدان
ترى وضح النهار كما أراه ويعلوها الظلام كما علاني

فهذا السؤال الذي يثيره ليس مقصودا به الاستفهام وإنما أراد توكيد متخيله الزمني للقاء عبر ذلك الأسلوب البلاغي لما له من دلالات ارتباطية بالزمن لأن اللغة ((حقا أداة زمنية لا تعدو أن تكون مجموعة من الأصوات المقطعة إلى مقاطع تمثل تتابعا زمنيا لحركات وسكنات في نظام اصطلح الناس على أن يجعلوا له دلالات بذاتها وبهذا المعنى تكون اللغة الدالة تشكيلا للمكان .. بحيث تكتسب معنى خاصا))[lvii].
إن البيتين الذَين أوردهما الشاعر جاءا ليمثلا نسقا شعريا متخيلا للزمن الذي يريد قيس أن يجعله مطاوعا للقائه بلبنى فأراد بكل ما عبر عنه فيما تخيل أن يقدم لذاته رضاً نفسيا يستعاض به عن ألم الفقد ومرارة الغيبة فانعكست قدرته المتخيِّلة على نافذة الحقيقة مرة أخرى حين أراد معنى قد يكون بعيدا إذا ما أغفلناه وهو التقارب النسبي المكاني - حقيقة – الذي قد اتفقت لكليهما جدولته في متواليات الزمن.

الخاتمة :
إن البيئة العذرية في العصر الأموي كانت زاخرة بشعر الغزل الذي صبه شعراؤها في قوالب روحية كتب لها الخلود والانسياب نحو جداول الحزن الأبدي الذي عبر عما لقيه الشعراء العذريون من حرمان عاطفي وتحفظ اجتماعي فكان الإفراط الوجداني سمة أبلغت أولئك الشعراء مهالك الصعداء ومصاف المجانين والسفهاء لا سيما وأنهم كانوا لا يهبون قلوبهم إلا لواحدة من النساء بها يهيمون وعليها يقرضون.
كان للغزل العذري موضوعات كثيرة كغيره من الأغراض الشعرية الأخرى ومن بين هذه الموضوعات موضوع اللقاء الذي ينشأ داخل الغرض الشعري نتيجة حاجة نفسية ينساق لها الغرض لبلوغ ما يجده فيها من مآرب لطالما عَز على أولئك الشعراء نيل بعضٍ من مقاصدها ولما كان الواقع المادي حائلا دون ذلك استنفر الشاعر العذري إلى خياله وأرخى لجام قدرته الفكرية لتعوم في فلكٍ وجداني يتخذ من الفضاء المتخيل (بمكانه وزمانه) دوحةً يجر نحو رياضها أرواح الشعراء المتعبة ويصاحب أنفسهم ليقف بها على شرفات الأمل الذي ينعكس عن آثار ما يتخيلونه فكان الزمان أجود من المكان على أخيلة العذريين لما أتاحه من فرص للقاء رغم ندرتها قد عدها الشعراء العذريون متنفسا لهم من كرب الحقيقة وبرود الأمكنة فبدا الزمن أكثر فاعلية من المكان في لقاءاتهم المتخيلة في الشعر.

الهوامش

[i] – لسان العرب ، ابن منظور، مج ٥ ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٤ ، مادة (خيل) ، ص١٩٢-١٩٤.

[ii] – أساس البلاغة ، الزمخشري ،المكتبة العربية للطباعة والنشر ، د،ط، بيروت ، ٢٠٠٣، مادة (خيل) .

[iii] – ينظر : المرجع والمتخيل في الشعر السياسي لنزار قباني قرين وفاء ، قرين سامية ،، رسالة ماجستير ، جامعة محمد بوضياف ، الجزائر ، ٢٠١٨م ، ص ١٢– ١٥.

[iv] – ، مفهوم الشعر (دراسات في التراث النقدي)، جابر عصفور المركز العربي للثقافة والعلوم ، د، ط، القاهرة ، ١٩٨٢، ص ٢٩٦-٢٩٧.

[v] –: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، وهبة مجدي ، كمال المهندس مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٤، ص٩١.

[vi] – ، الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين ، يوسف الإدريسي, مطبعة النجاح الجديدة– الملتقى ، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٠.

[vii] – المصدر نفسه ص ١٦١.

[viii] – المصدر نفسه ص ١٨٩.

[ix] – التوبة : آية ٣٦ .

[x]: المتخيل الصحراوي في الشعر الجاهلي ،– سمية بومجان, رسالة ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي– ، الجزائر ، ٢٠١٦، ص٤٦–٤٧.

[xi] – ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى) رواية أبي بكر الوالبي ، تح : يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩، ص٧٢.

[xii] –: شعريات المتخيل اقتراب ظاهراتي, العربي الذهبي ، ط١، شركة المدارس ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠، ص٢٧٧.

[xiii] – ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧١ ، ص١٠٨.

[xiv] – ينظر. الغزل العذري دراسة في الحب المقموع . : يوسف اليوسف, دار الحقائق ط٢، ١٩٨٢، ص ٥١_٥٤ .

[xv] – ديوان قيس بن الملوح / ص

[xvi] – ديوان قيس بن الملوح / ص

[xvii] – ديوان قيس بن الملوح / ص

[xviii] –: شعرية المتخيل عند أحمد الغوالمي ,سهيلة زرزار ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، ٢٠٠٧، ص٢٢.

[xix] – ديوان قيس ابن الملوح : ٩٧.

[xx] – ديوان قيس بن ذريح ، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ص ٧٧

[xxi] – ينظر : الغزل العذري دراسة في الحب المقموع . دار الحقائق ط٢، ١٩٨٢، ص ٢٨.

[xxii] – ديوان جميل بثينة ، دار صادر بيروت ، ص٤٥٣.

[xxiii] – فن القص في النظرية والتطبيق ، نبيلة إبراهيم : مكتبة غريب ، مصر ، د.ط.ت ، ص٢٤٨.

[xxiv] – ديوان كثير عزة ، ص٦١–٦٢.

[xxv] – في الشعر الاسلامي والاموي ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩، ص ٩٤.

[xxvi] – ديوان جميل بثينة / ص٦٣.

[xxvii] – في الشعر الاسلامي والاموي : ٨٤.

[xxviii] – ديوان كثير عزة / ٤٦٣–٤٦٤.

[xxix] – الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٦، ص٣٩.

[xxx] – ديوان جميل بثينة / ٥٧–٥٨.

[xxxi] – الزمن وبنية النص الشعري ، إسحاق الخنجري : مجلة نزوى ، العدد : ٩٦ ، ٢٠١٨م ، nizwa.com

[xxxii] – ديوان قيس بن الملوح / ٧٤.

[xxxiii] – ديوان كثير عزة / ٢٠٤.

[xxxiv] –: الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية ، عبد الإله الصائغ بيروت – المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٩م ، ص١٤٥.

[xxxv] –الزهرة : أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني ، تح:د. إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار – الأردن ، الزرقاء ، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٥١.

[xxxvi] – اللوحة الطيفية في الشعر الأموي : نزيهة طه – رؤى صقور ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج (٤٠) ، العدد (٥) ، ٢٠١٨م ، ص٥٥٢.

[xxxvii] – ديوان كثير عزة / ٤٢٤.

[xxxviii] – لقاء المحبوبة عند الشعراء العذريين في صدر الإسلام والعصر الأموي ، هويدا نجاري _ باسل نزيها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج (٣٦) ، العدد (٤) ، ٢٠١٤م، ص٣٩٦.

[xxxix] – ، طوق الحمامة ، ابن حزم الأندلسي ,ضبط وتحرير الهوامش : الطاهر أحمد مكي ، مصر – دار المعارف ، ط١ ،١٩٧٥م، ص١٢٩–١٣٠.

[xl] – ديوان قيس بن الملوح / ص

[xli] – ديوان قيس بن ذريح /ص _____

[xlii] – لقاء المحبوبة عند الشعراء العذريين في صدر الإسلام والعصر الأموي ، هويدا نجاري _ باسل نزيها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج (٣٦) ، العدد (٤) ، ٢٠١٤م، ص٤٠٦.

[xliii] – ديوان جميل بن معمر / ٢٣.

[xliv] – ، طيف الخيال ، الشريف المرتضى تح:محمد سيد الكيلاني ، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١، ١٩٥٥، ص١٥.

[xlv] – المصدر نفسه / ٢٩.

[xlvi] – لقاء المحبوبة عند الشعراء العذريين في صدر الإسلام والعصر الأموي ، هويدا نجاري _ باسل نزيها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج (٣٦) ، العدد (٤) ، ٢٠١٤م ص٣٩٨.

[xlvii] – ينظر : الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي ، إبراهيم موسى سنجلاوي ، مكتبة عمان– عمان ، ١٩٨٦، ص١٤٨.

[xlviii] – ديوان جميل بن معمر / ١٤.

[xlix] – المصدر نفسه / ٨٣.

[l] – ديوان قيس بن ذريح / ١١٤.

[li] – ينظر : ديوان قيس بن ذريح / ص ١١– ١٥.

[lii] – ينظر : ، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان مكتبة الدراسات الأدبية ، ص ٨٦.

[liii] – ديوان قيس بن ذريح / ١٠٧– ١٠٨.

[liv] – لقاء المحبوبة عند الشعراء العذريين في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص٣٩٨.

[lv] – سلطة الزمن في شعر المتنبي ، سندس محمد عباس ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربية – صفي الدين الحلي ، ص ٩٢.

[lvi] – ديوان قيس بن ذريح / ١١٦.

[lvii] – التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، مكتبة غريب ، ط٤، ص٥٥.

المصادر:

- أساس البلاغة ، الزمخشري المكتبة العربية للطباعة والنشر ، د،ط، بيروت ، ٢٠٠٣.
- ، بين المرجع والمتخيل في الشعر السياسي لنزار قباني ,قرين وفاء ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد بوضياف ، الجزائر ، ٢٠١٨م .
- التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، مكتبة غريب ، ط٤.

-الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي ، إبراهيم موسى سنجلاوي ، مكتبة عمان- عمان ، ١٩٨٦.
-الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية ، عبد الإله الصائغ : بيروت – المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٩م.
- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٦.
- الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين ، يوسف الإدريسي مطبعة النجاح الجديدة- الملتقى ، ط١، ٢٠٠٥م.
-سلطة الزمن في شعر المتنبي ، سندس محمد عباس ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربية – صفي الدين الحلي .
-الشعر الاسلامي والاموي ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩.
-شعريات المتخيل اقتراب ظاهراتي, العربي الذهبي : ، ط١، شركة المدارس ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠.
-شعرية المتخيل عند أحمد الغوالمي: سهيلة زرزار ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، ٢٠٠٧.
- ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى) رواية أبي بكر الوالبي ، تح : يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩.
- ديوان قيس بن ذريح ، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
- ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧١ .
- الغزل العذري دراسة في الحب المقموع , يوسف اليوسف. دار الحقائق ط٢، ١٩٨٢.

- ديوان جميل بثينة ، دار صادر بيروت .
- الزمن وبنية النص الشعري ، إسحاق الخنجري : مجلة نزوى ، العدد : ٩٦ ، ٢٠١٨م ، .
-الزهرة : أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني ، تح:د. إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار – الأردن ، الزرقاء ، ط٢، ١٩٨٥م، ج١.
- فن القص في النظرية والتطبيق ، نبيلة إبراهيم : مكتبة غريب ، مصر ، د.ط.ت.
- طوق الحمامة ، ابن حزم الأندلسي ، ضبط وتحرير الهوامش : الطاهر أحمد مكي ، مصر – دار المعارف ، ط١ ،١٩٧٥.
٢٣- طيف الخيال ، الشريف المرتضى ، تح:محمد سيد الكيلاني ، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١، ١٩٥٥.
- لسان العرب ، ابن منظور الافريقي، مج ٥ ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٤ .
- لقاء المحبوبة عند الشعراء العذريين في صدر الإسلام والعصر الأموي ، هويدا نجاري _ باسل نزيها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج (٣٦) ، العدد (٤) ، ٢٠١٤م.
- اللوحة الطيفية في الشعر الأموي : نزيهة طه – رؤى صقور ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الانسانية مج (٤٠) ، العدد (٥) ، ٢٠١٨م.
- المتخيل الصحراوي في الشعر الجاهلي, سمية بومجان : ، رسالة ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي- ، الجزائر ، ٢٠١٦.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، حسين عطوان ،مكتبة الدراسات الأدبية..

– مفهوم الشعر (دراسات في التراث النقدي)، جابر عصفور ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، د، ط، القاهرة ، ١٩٨٢

– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكمال المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٤.